مكتبة أبي الحارث

مقتطفات من محاضرة
بعض
[مقومات تزكية النفوس]

للشيخ الفاضل : أبي عبد الرحمن رمان الحبيشي حفظه الله تعالى

أنتقاها:

أبو الحارث أيمن بن محمد النزيلي عفا الله عنه

مقطفات من محاضرة

بعض مقومات في تزكية النفوس

للشيخ الفاضل:أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي حفظه الله تعالى

أنتقاها : أبو الحارث أيمن بن محمد النزيلي عفا الله عنه

حقوق الطبع محفوظة

1440

مقطفات من محاضرة

بعض مقومات في تزكية النفوس

للشيخ الفاضل : أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي حفظه الله تعالى

انتقاها: أبو الحارث أيمن بن محمد النزيلي عفا الله عنه

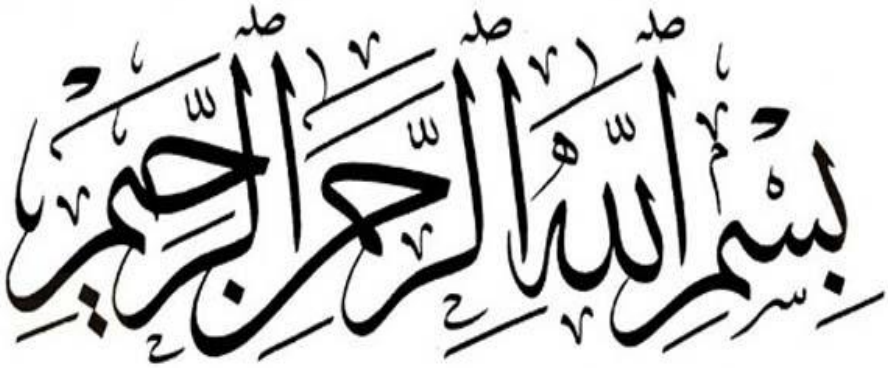
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحاضرة

أيها المسلمون عباد الله ألا وأنه مما ينبغي أن نسعى اليه ولاسيما في هذا الوقت الذي كثرت فيه الفتن والمحن على الإسلام وأهله لهو العناية بتزكية أنفسنا ألا وإن من فوائد هذه المجالس أنها تزكي النفوس وتشرح الصدور فلا تسمع فيها إلاما يشرح صدرك لاسيما وأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه النفس بأنها أمارة بالسوء كما قال الله تعالى في كتابه الكريم :{ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (53) } [يوسف :53] أي : لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء أي : الفاحشة والذنوب لأنها مركب الشيطان ومنها يدخل على الإنسان ولهذا في هذه النفس صفات ذميمة كالكبر والحسد والطغيان والبغي والهوى والحيل الممنوعه والتمرد والجهل وغير ذلك مما يجب على المسلم أن يجاهد نفسه في إزلتها إذن نحن بحاجة ماسة إلى العناية بهذه النفس فإن أمرها عظيم وشأنها كبير والله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل قد أقسم بعدد من المخلوقات العظيمة الدالة على عظمته وكبريائه في سورة الشمس على النفس المفلحة وغير المفلحة فقال عز من قائل:{ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10) } [الشمس :1-10] قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره وقوله: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح ا.هـ إذن فما أحوجنا إلى أن نجاهد أنفسنا على طاعة الله ونحاسب أنفسنا ماذا قدمنا لغد؟ وماذا قدمنا ليوم القيامة؟ والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بذلك فقال :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) } [الحشر:18] قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره : ''وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها'' ا.هـ هذا هو الموفق الذي يتفقد نفسه ويعالج نفسه ويسايس نفسه على طاعة الله والبعد عن معصيته سبحانه وتعالى وعلى هذا عاش سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى قال سفيان الثوري : '' ماعالجت شيئاً أشد علي من نفسي، مرة لي ومرة علي'' وقال بعضهم: '' من لم يتهم نفسه بالتقصير على مدى الأيام أصابه الغرور'' وقال ميمون بن مهران : '' لايكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه وحتى يعلم من أين مطعمه وملبسه ومشربه '' وقال الحسن البصري رحمه الله : '' المؤمن

قوام على نفسه يحاسبها ولاتلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه ماذا أردت تعملين ماذا أردت تأكلين ماذا أردت تشربين والفاجر يمضي قدماً لايحاسب نفسه '' الفاجر لا يحاسب نفسه والعياذ بالله لايبالي لابمأكل ولا بمشرب ولا بملبس ولا يبالي حتى بالذنوب التي يقترفها بالليل وبالنهار والعياذ بالله فإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن نسعى دائماً وأبداً إلى صلاح أنفسنا والرقي بها إلى أعلى المقامات ألا وهناك أمور تزكو وتصلح بها النفس بإذن الله سبحانه وتعالى ومن تلك الأمور :

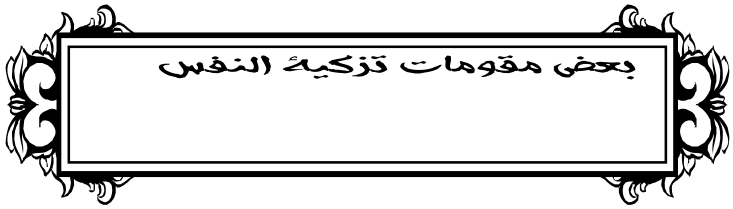

1- توحيد الله : وهو الغاية العظماء التي خلقنا الله عزوجل من أجلها فقال سبحانه وتعالى :{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)}[الذاريات :56-58] والدعوة إلى التوحيد الله عزوجل هو محور دعوة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين قال الله عزوجل في كتابه الكريم :{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ } [النحل :36] فإذا حقق العبد التوحيد حصلت له الزكاة الكاملة وحصلت له الهداية التامة والأمن التام في الدنيا والاخرة قال الله عزوجل :{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ(1) أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (82)}[الأنعام :82] إذن فلا زكاة للنفوس إلا بتحقيق توحيد الله عزوجل وحده لا شريك له

2- قراءة القرآن : ومما تزكو به النفس وتصلح الإقبال على تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى والعمل به قال الله عزوجل :{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (164) } [ال عمران :164] فإذا أردت يا عبد الله التزكية لنفسك فلا تغفل عن كلام الله بل كن من التالين له اناء الليل واناء النهار وإذا أردت ياعبد الله الهداية والأمن من الضلالة والزيغ والإنحراف فعليك بتلاوة كتاب الله والعمل به قال الله عزوجل في كتابه الكريم :{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (123) } [طه:123] قال ابن عباس رضي الله عنه :" ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة"

3- ومما تزكو به النفس وتصلح الدعاء والإقبال على الله سبحانه وتعالى فإن الدعاء من أفضل العبادات لأن فيه إظهاراً للعجز والافتقار والتذلل والإنكسار وفيه الاعتراف بقوة الله وقدرته وإغنائه وكبريائه وجبر خواطر أعدائه إذا دعوه واضطروا قد يجيبهم فضلاً عن فضلاء أحبابه وأوليائه فمن فتح له باب الدعاء فقد حصل على الخير العظيم ولذلك يقول شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى [66/10] : " الدعاء مفتاح كل خير" فإذا أردت العافية في دينك ودنياك فعليك بالدعاء وإذا أردت الرزق والصحة فعليك بالدعاء وإذا أردت صلاح نفسك وأهلك وأولادك ومجتمعك

---

(1) أي:يشرك

فعليك بالدعاء وإذا أردت أن يصرف الله سبحانه وتعالى عنك شر الأشرار وكيد الفجار فعليك بالدعاء هذه العبادة غفلنا عنها والله سبحانه وتعالى قد وعد في محكم التنزيل من التجأ إليه ودعاه بالإجابة قال الله تعالى :{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60) } [غافر :60] وقال تعالى :{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) }[البقرة :186] وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : ((اللهم آت نفسي تقواها،وزكاها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها))(1)

4- ومما تزكو وتصلح به النفس غض البصر عن الحرام قال الله تعالى :{ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) } [النور :30] قال أبو حيان الأندلسي :" وقدم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثرو لايكاد يقدر على الاحتراز منه، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأعمرُ طريق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته"(2) وقال الإمام السعدي في تفسيره:" فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه"
وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :" وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول النظر(3)والكلام لأنهما أوسع مداخل الشيطان ولأنهما جارحتان لاتملان ولاتسأمان"(4) وفيه إشارة إلى أن جارحة البصر لاتكل ولاتمل وهكذا جارحة اللسان.

5- ومما تزكو وتصلح به النفس الحذر من العجب ،ومن الاغترار بالنفس لاتعجب ياعبد الله بعملك ولابقوتك ولابفصاحتك ولا بجاهك ولابسلطانك ولابمالك فربنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم :{ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (32) } [النجم:32] ومعنى الآية الكريمة أن الإنسان لايمتدح نفسه عند الناس أنا فعلت وفعلت الله عزوجل يقول :{ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ } لأن التقوى محلها القلب والله سبحانه وتعالى هو الذي يزكي عبده والله سبحانه وتعالى يعلم البر من الفاجر والصادق من الكاذب و المخلص من المنافق فما عليك إلا أن تتقي الله سبحانه وتحرص على تقوى الله والله سبحانه هو الذي يزكيك إذا أنت زكيت نفسك بطاعة الله والبعد عن معصيته الله هو الذي يزكيك ويرفع شأنك وليس العباد فالعباد لايغنوا عنك من الله شيئاً أنت بفضل الله زكي نفسك بطاعة الله سبحانه والبعد عن معصيته :{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (15) } [الأعلى :14-15] ولهذا كان السلف رحمهم الله تعالى يعتنون بأنفسهم أشد الأعتناء ويخافون عليها من العُجب والغرور والنفاق

---

(1) رواه مسلم(2722)عن زيد بن أرقم رضي الله عنه
(2) البحر المحيط:[33/8]
(3) أي:لما حرم الله
(4) بدائع الفوائد:[82/2]

فهذا ابن أبي مليكة يقول :" أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، مامنهم أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل "(1) وقال الحسن البصري رحمه الله " إن المؤمن جمع إحساناً(2) وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا(3) وتلا هذه الآية :{ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) } [سورة المؤمنون :57-58] (4)

6- ومما تزكو وتصلح به النفس الرُفقة الصالحة تخير الجلساء الصالحين والرفقاء الطيبين فإن الصاحب ساحب و الطبع سراق والشبهة كثيرة والقلوب ضعيفه والله سبحانه وتعالى يقول لنا في كتابه الكريم :{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) } [الكهف :28] قال العلامة السعدي رحمه الله " ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى" وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أَنَّما مَثَلُ الجلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحًا طيِّبَةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً)) قال القاضي عياض رحمه الله :" فيه تجنب خلطاء السوء ومجالسة أهل الشرك وأهل البدع والمغتابين للناس لأن هولاء جميعهم ينفذ أثرهم إلى جليسهم وفيه حث على مجالسه أهل الخير إنما(5) وفيه الحض على مجالسة أهل الخير وتلقي العلم عنهم والأدب والأخلاق الحميدة "أ.هـ

7- ومما تزكو وتصلح به النفس لهو تذكر الموت فإن مدتنا في هذه الدنيا قصيرة ولما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أكثروا ذكر هادم اللذات: الموت))(6) الموت عباد الله هو الفيصل بين هذه الدار ودار القرار الموت هو الفاصل بين العمل والجزاء عليه الموت عباد الله لامجال بعده للتوبة والاستغفار من السيئات ولامجال بعده للاستكثار من الحسنات ولذلك يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم :{ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18) } [النساء :18] الموت عباد الله مدرك كل الناس لا محاله وملاقيهم بلا ريب:{ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ } [النساء :78]

---

(1) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان وأنظر [تغليق التعليق(52/1)]
(2) أي: في العمل
(3) أي:يسيء في الليل وفي النهار ومع ذلك هو آمن على نفسه وكأنه عنده صك أنه لايصيبه شيء
(4) أنظر الزهيد لابن المبارك:رقم[985]
(5) يجلس المرء حيث يستفيد
(6) رواه الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والألباني رحمه الله تعالى

{ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (8) } [الجمعة :8] { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) } [ق :9] الموت عباد الله لأياتي للأنام إلا فجاءة : { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34) } [الأعراف :34] فإذن علينا دائماً وأبداً أن نتذكر الموت ومابعد الموت من البعث والنشور والصراط والميزان والحساب فإن تذكر الموت فيه منفعة عظيمة بذلك تستيقظ القلوب الغافلة وتحيا القلوب الميتة ويحسن إقبال العبد على ربه سبحانه وتعالى وتزول عنه الغفلة والإعراض ويهون عليه التعلق بالدنيا وشهواتها وملذاتها قال سعيد بن جبير " لو فارق ذكر الموت قلبي لفسد قلبي "(1)

8- ومما تزكو وتصلح به النفس الصلاة قال الله عزوجل في كتابه الكريم :{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (15) } [الأعلى : 14-15] قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى" أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق "{ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } أي: اتصف بذكر الله، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصًا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة، وأما من فسر قوله { تزكى } بمعني أخرج زكاة الفطر، وذكر اسم ربه فصلى، أنه صلاة العيد، فإنه وإن كان داخلًا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده" فإنه وإن كان داخلاً في اللفظ وبعذ جزئياته، فليس هو المعنى وحده وثبت عند أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((حبب إلي من دياكم النساء والطيب ،وجعلت قرة عيني في الصلاة))(2) فالصلاة قرة عين كل مؤمن والصلاة أعظم الأسباب في زكاة النفس فيجب علينا أن نحافظ عليها في بيوت الله كما أمر الله وكما أمر رسول الله في سنته وذلك مع جماعة المسلمين في مواقيتها بشروطها ،وأركانها ،وسننها وواجبتها وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه

9- ومما تزكو وتصلح به النفس لهو طلب العلم الشرعي والأدلة على ذلك كثيرة في الحث على التفقة فيه ،والازدياد منه والحاصل أن أساس تزكية النفوس هو طاعة الله عز وجل واجتناب معصيته نسأل الله أن يوفقنا وجميع المسلمين لما يحبه ويرضى وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

مقتطفات من محاضرة ألقيت في دار الحديث السبل / محافظة إب/ اليمن

انتقاها : أبو الحارث أيمن بن محمد النزيلي عفا الله عنه

---

(1) ابن أبي الدنيا: العزلة والانفراد
(2) صححه الألباني في صحيح الجامع

مكتبة أبي الحارث
مقتطفات من محاضرة
بعنوان
[فقه ما تزلّ به النفوس]
للشيخ الفاضل : أبي عبد الرحمن رمضان اليشوي حفظه الله تعالى
أهداها
إلى الطالب أبي عبد الله محمد الليبي عفا الله عنه